تجديد أغراض المجمع اللغوى

لصاحب المعالى وزير المعارف

نص كلمته فى افتتاح مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية

سيدى الرئيس . زملائى المحترمين . سيداتى . سادتى

تفضل معالى الرئيس فسألنى خلال هذا الأسبوع الأخير : أأنا على استعداد لأن ألقى كلمة فى هذه الجلسة الافتتاحية للمؤتمر أتناول فيها شأناً من الشؤون المتصلة بأغراض مجمعنا ؟ وقد شكرت لمعاليه هذه الدعوة وقبلتها ، منتبطاً أن أتحدث إليكم ، رغم ضيق الوقت ، فى أمر أعده جليل الخطر فى حياتنا وفى مستقبلنا

وأود قبل أن أعرض لهذا الأمر أن أشكر لمعالى الرئيس ما وجهه إلىّ وإلى زملائى الجدد من عبارات التحية ، كما أود أن أنوه بالجهود الكبيرة التى بذلها المجمع قبل أن أنضم أنا وهؤلاء الزملاء الأفاضل إليه . وحسب من شاء أن يطلع على المذكرة الموجزة التى وضعها المجمع ووزعت فى هذا الاجتماع ليقدر ما بذل من هذه الجهود . أما الذين اطلعوا على مجلة المجمع وعلى محاضر جلساته ، فهم لا ريب أعظم تقديراً لجسامة هذا المجهود . وإن جاز لى أن أعبر عن رأى زملائى الجدد فليس يسعنى إلا أن أشكر باسمهم وباسمى زملاءنا المحترمين الذين قاموا بهذا المجهود ، وأن نذكر الذين قضوا أجلهم بالخير ، وأن نطلب لهم من الله مثوبة ومغفرة

وليس ينقص من قدر هذا المجهود الكبير أنه ما يزال فى بدايته ، أو أن لى أو لغيرى بعض ملاحظات عليه يراد بها مزيد من دقة التوجيه إلى الغرض المنشود حيناً ، وتبلغ حد النقد فى بعض الأحيان . فالغرض العظيم الذى أنشئ المجمع لتحقيقه ، والعمل الجسيم الذى لا بد منه لبلوغ هذا الغرض ، يحتاجان إلى كثير من الأناة والروية ، وإلى زمن لا تعد السنين شيئاً مذكوراً فيه . لقد قضى المجمع الفرنسى منذ أنشأه ريشليو عشرات السنين قبل أن يضع معجمه الأول للغة الفرنسية . ومع هذه الأناة ، ومع ضخامة المجهود الذى بذل خلال هذه السنين الطويلة ، وجهت إلى هذا المعجم ألوان كثيرة من النقد كانت موضع اعتبار المجمع وتقديره أثناء مراجعة معجمه . ولا تزال لجنة المعجم فى المجمع الفرنسى تراجعه وتضيف إليه وتحور فيه تبعاً للتطور اللغوى فى تلك البلاد ، متوخية فى عملها أن تحافظ على سلامة اللغة الفرنسية وعلى ملاءمتها لحاجات الحياة وتطورها ، مؤمنة دائماً بأن اللغة كائن حى متصل أوثق الاتصال بكل صور الحياة ، يسايرها فى نمو ما ينمو وانقراض ما ينقرض وتطور ما يتطور . فالمجمع الفرنسى ، كمثل من درسوا اللغة ومارسوها ، يرى أن اللغة هى صورة الحياة فى إدراك الذين يتكلمون هذه اللغة ، وأنها لذلك مرآة تقدم هؤلاء القوم أو تأخرهم ، نشاطهم أو قعودهم ، قدرهم الصحيح لحقائق الحياة أو توهمهم الباطل لهذه الحقائق :

وكيف لإنسان أن يضبط المجهود الذى قام به المجمع وقد أقر أكثر من أربعين قاعدة فى اللغة تيسرها وتوسع أنيسها ، وتليها للترجمة عن مستحدثات المعانى ، وقد استخرج آلافاً من المصطلحات فى علوم الأحياء ، والرياضة ، والطبيعة ، والاقتصاد السياسى ، والقانون ، وتاريخ القرون الوسطى ، والموسيقى ، والرسم ، والعمارة ، وقد أقر طائفة جليلة من المسميات الحديثة فى الشئون العامة كأدوات المنازل وأثاثها ، وما تتناقله الألسن والأقلام فى الأسواق والأندية والصحف ، وقد بدأ بوضع المعجمات التى تدعو إليها الحاجة ، وقد صحح من الأعلام الجغرافية فى مصر وأفريقا وآسيا عدداً عظيما ، وقد نشرت مجلته بحوثاً بلغت صفحاتها نحو ألف وخمسمائة . هذا وما إليه جدير بتقدير الناس جميعاً وثنائهم ، وإن وجه إلى بعضه من النقد ما قد يقره المجمع نفسه ، وما قد يدعوه إلى أن يعدل عن شىء أقره إلى ما يراه خيراً منه وأدنى إلى تحقيق غايته .

سادتى : لقد كان ما يتصل باللغة من شئون التعليم مما وجه إليه المجمع عناية مذكورة ؛ وأنتم تقرأون فى المذكرة التى وضعها المجمع بين أيديكم أنه وضع نصب عينيه أخذ الناشئين بصحيح العربية فيما يتدارسون من العلوم والفنون ، وأنه قد وجه جل همه من هذه العناية إلى المصطلحات التى تدخل فى التعليم الثانوى ، وأن بين المعجمات التى يتوفر على وضعها معجما علمياً صغيراً للتعليم الثانوى فى الأقطار العربية ، وآخر تثبت فيه طوائف من المواد والألفاظ والصيغ تغنى الطالب الثانوى والمثقف الوسيط عن غيره من المعجمات ، وأنه وافى وزارة المعارف بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مصطلح لإدخالها فى كتب التعليم وفى التدريس .

ولم يتم بعد وضع المعجمين اللذين أشرت إليهما ليتسنى إبداء الرأى فيهما . وقد سألت وزارة المعارف عما وافتها به إدارة المجمع فعلمت أن هذه المصطلحات لما تعرض على رجالها ، وأن تجارب الطبع لهذه المصطلحات لا تزال حبيسة فى المطبعة الأميرية منذ سنة ١٩٣٩ . وقد أرسلت إلىّ إدارة المجمع من أيام هذه المصطلحات فعرضتها على الفنيين من رجال الوزارة فأقروا طائفة مما اطلعوا عليه ولم يقروا طائفة أخرى . ثم إننى ألقيت على هذه المصطلحات نظرة عجلى ألهمتنى ما أريد أن أتحدث إليكم اليوم فيه .

جاء فى المذكرة التي وضعها المجمع بين أيدينا تمهيداً لهذه الجلسة أن من يترسم آثار المجمع « لا يرتاب فى أنه ، فى تشدده فى المحافظة على لغة العرب ، وبث ما لا عهد للجمهرة به من قديمها وبحفوها مما يقع عندها موقع الغرابة أو ما هو أشد من الغرابة فى أول الأمر ، فإنه من ناحية أخرى لا يفتأ يترخص أعظم الترخص ، ويسر أبلغ التيسير . على أن ترخصه هذا وتيسيره إنما يقعان فى حدود اللغة ، وما مضى من مذاهب علمائها الأعلام ؛ فلا سيادة لعامية ، ولا ظنيان للعجمة على لغة الكتاب »

هذه الفقرة من مذكرة المجمع قد جلت أمامى كثيراً مما رأيته فى المصطلحات التى اطلعت عليها ، وفى المسميات التى وضعها المجمع لحاجات الحياة المتداولة . فهو قد آثر أن يبعث من تراث اللغة المهجور ما رآه معادلاً لهذه المسميات والمصطلحات . ولا إخالنى مخطئاً فى هذا التصوير وقد وضع المجمع منذ سنوات جوائز مختلفة لمن يضمون طوائف من الكلمات العربية الفصيحة للمسميات الحديثة وللمصطلحات العلمية والفنية والأدبية ؛ ثم نبه الذين يتقدمون لهذه الجوائز أنه يفضل عند التسمية ما وضعه القدماء من الكلمات الصحيحة ثم هجر وتناسى ، واستعمل بدلاً منه ألفاظ مولدة حديثة ، أو عامية ، أو أعجمية ؛ فإن لم يعثر على شىء من ذلك وضعت الكلمة وضعاً جديداً بطريقة من طرق الوضع القياسية

لست أتردد فى الموافقة على هذه الخطة فى أمر المصطلحات العلمية كلما وجد اللفظ العربى القديم الذى يؤدى الغرض من هذا المصطلح أداء دقيقاً يقره المتخصصون من العلماء . ولعلى لا أتردد كذلك فى الموافقة عليها إذا استعمل لفظ أجنبى للتعبير عن معنى قديم كان العرب يعبرون عنه بلفظ عربى . لكنى أقف متردداً ، ويطول تردد ، فيما خلا هاتين الصورتين ؛ وفيما يوضع من المسميات لحاجات الحياة المتداولة . ولا أحسبنى دون ذلك تردداً فى أمر الألفاظ العامية إذا أمكن تقويمها لتسترد صورتها العربية الصحيحة

أيها السادة : إن الغرض الأساسى من إنشاء هذا المجمع إنما هو جعل اللغة العربية ملائمة لحاجات الحياة فى عصرنا مع المحافظة على سلامتها . هذا الغرض يتضح جلياً فى المذكرة التى وضعها المجمع اليوم بين أيدينا ، فكل ما يبذل من جهود الأفراد والجماعات فى أمر اللغة من عهد محمد على الكبير إلى اليوم قد توخى هذا الغرض . وقد سجل مرسوم إنشاء المجمع هذا الغرض فى المادة الثانية منه تسجيلاً صريحاً . ولكى تلائم اللغة حاجات الحياة فى عصر من العصور يجب أن تكون صورة صادقة لكل ما تتناول الحياة فى هذا العصر . ويجب أن تكون سليقة للمتكلمين بها والكاتبين لها ، ويجب أن تكون بذلك أداة التفاهم بين هؤلاء جميعاً تفاهماً يتم فى غير عسر ولا مشقة . ويجب لذلك أن يكون القدر المشترك منها بين الجميع ، من الصبى الناشىء إلى العالم الكبير ، ومن ربة البيت فى أهلها إلى المتحدث فى الفنون والعلوم والآداب . يجب أن يكون عظيما بحيث ييسر هذا التفاهم ويجعله فى متناول الجميع ؛ فلا يقع خلاف يتهم فيه بسبب اللغة وألفاظها وإن أمكن أن يقع بسبب تفاوتهم فى الثقافة . وكل جهد يبذل لزيادة القدر المشترك تيسيراً للتفاهم المتبادل ، يدنى من الغرض الذى تنشأ مجامع اللغة لتحقيقه

إذا كان هذا صحيحاً ، وأعتقد أنا صحيح ، وجب ألا نتقيد فى جعل لغتنا ملائمة لحاجات عصرنا بالحدود التى وضعت فى عصر العباسيين أو فى عصر الأمويين ، أو فى الجاهلية ، لحاجات عصرهم . فإذا أردنا أن نضع معجما يغنى المثقف الوسيط ، ويغنى الطالب الثانوى ، وجب مع محافظتنا على سلامة اللغة ألا نهمل تطورها إلى حيث وصلتنا اليوم ، ووجب أن ندرس بعناية هذا التطور فى لغة الكتابة وفى لغة الكلام

لقد رأى العالم العربى فى كل العصور ، إلى عصرنا الحاضر ، خطباء اهتزت لبلاغتهم المنابر ، ومحامين كانت مرافعاتهم مثلاً عالياً للبلاغة القضائية ، وكتاباً فى الصحف وفى المجلات ومؤلفين قدرهم أهل هذه الأمم أسمى التقدير . هذه الخطب ، وهذه المرافعات ، وهذه الكتابات على اختلاف أنواعها وعصورها ، تصور تطور اللغة ، فلا سبيل إلى إنكارها . وهذه الخطب

والمرافعات والصحف والمجلات والكتب تحوى قدراً مشتركا عظيما جداً من ألفاظ اللغة وتراكيبها ! ومن أساليبها التى تتفق مع تصور الناس للحياة فى هذا العصر ؛ وأبناؤنا فى المدارس ، وجماهيرنا المثقفة تثقيفاً وسطاً ، تستمع إلى هذه الخطب والمرافعات ، وتقرأ هذه الصحف والمجلات والكتب ، بشغف أكثر من شغفها حين تقرأ الكتب القديمة . أفيقال مع هذا أن فى هذه الخطب والمرافعات والصحف والكتب ألفاظاً عامية لا يجوز أن تكون فى معجمات اللغة ؟ أم الحق أنه يجب علينا ألا نهمل هذه الثروة اللغوية الحية ، وأن نسجل منها كل ما يتفق مع ذوق العربية وأقيستها ، وأن ما نقوم به من ذلك هو الذى يجعل اللغة لغة الحياة تسير معها وتتطور بتطورها ؟

وأذهب إلى أبعد من هذا . إن فى اللهجات العامية للبلاد العربية المختلفة لقدراً عظيما من الكلمات المشتركة ، والتى يمكن أن ترد إلى أصل عربى دون حاجة إلى أكثر من تقويمها بعض التقويم . هذه ثروة ضخمة تقابل حاجات الحياة وتعبر عنها أصدق تعبير . مع ذلك درجنا على التنكر لهذه الألفاظ والعبارات ، وعلى اعتبارها مبتذلة لا يجوز للمتكلم الفصيح ، أو للكاتب البليغ ، أن يكتبها أو يتكلم بها . أما وقد انحدرت هذه الألفاظ إلينا من العرب الأولين الذين نزحوا إلى مصر وإلى غير مصر من البلاد العربية ، فلست أدرى لم تكون مبتذلة ، ولم لا تدخل فى معجماتنا وفى كتابتنا وخطابتنا ، وفى مصطلحاتنا المختلفة ؟ السبب الوحيد فى نظرى هو أننا نريد أن تكون اللغة وقفاً على طائفة خاصة ، وأن تكون لها من أجل ذلك أسرار تغيب عن الكافة ، كما أراد الكهنة فى عهد الفراعنة أن يجعلوا حقائق الدين سراً موقوفاً على طائفتهم ، وأن يدعوا للناس من الزيف ما يتنزهون هم عنه ، وما يسخرون منه

أيها السادة : إن ما أطالب به المجمع من إقرار ما يجوز إقراره من هذه الألفاظ المتداولة فى الكلام وفى الخطابة وفى الكتابة بعد رده إلى حدود اللغة السليمة هو ما تقوم به مجامع اللغة فى بلاد العالم أجمع ، وهو ليس بدعاً فى لغتنا العربية منذ عهدها الأول ؛ والمادة الثانية التى حددت أغراض مجمعنا تطالبنا به ، فهى قد نصت على أن يقوم المجمع بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وأن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة ؛ وهذان الأمران يتصلان أوثق الاتصال . فاللهجات الحديثة تشتمل كما قدمت على قدر عظيم مشترك من الألفاظ والعبارات العربية ، كما أنه قد اندس إليها بحكم الحوادث التاريخية واختلاط الأمم العربية بشعوب أجنبية عدد عظيم من الألفاظ غير العربية . فالدراسة العلمية المقصودة هنا ، والتى تتفق مع مهمة المجمع ، لا بد أن يكون مرماها تحديد الألفاظ العربية فى هذه اللهجات المختلفة تحديداً علمياً دقيقاً للاستفادة منها فى وضع المعاجم التى نص عليها فى أغراض المجمع ؛ أما المعجم التاريخى ، فيجب أن يتناول تطور اللغة على العصور إلى وقتنا الحاضر ، وأن تكون الألفاظ العربية السليمة التى يستطيعها الناس فى أحاديثهم وخطبهم وكتاباتهم بعض هذا الذى يتناوله

أيها السادة : إن هذا الذى قدمت صحيح فى نظرى كل الصحة ، واضح كل الوضوح . لذلك كان عجبى ولا يزال شديداً ألا يفصل من تاريخ اللغة وآدابها فى معاهدنا شىء فيما وراء العصر العباسى ولم يدرس الأدب الحديث إلا من عهد قريب ، وعلى نحو لا يزال بدائياً غير متصل بما سبقه من تاريخ الأدب واللغة . ولقد لاحظت منذ سنوات على المعجم التاريخى للدكتور فيشر ، وهو المعجم الذى يعنى المجمع بطبعه الآن ، أنه لا يتناول إلا العهد الأول من صدر الإسلام ، وكنت قد فهمت يومئذ أن هذا المعجم سيضاف إليه ما يتم الغرض منه بتناول تاريخ اللغة إلى وقتنا الحاضر . ولا أظن أحداً يخالفنى فى أن ما دون كتب الفقه والأدب والفن والعلم فى العصور المختلفة يجب أن يكون بعض هذا التاريخ ، ولا أظن أحداً كذلك يخالفنى فى أن الألفاظ العربية الأصل مما تتناوله لهجات العصر الحديث تدخل فى نطاق هذا التاريخ

أيها السادة : إننى أعتبر هذا العمل أساسياً لتلاؤم اللغة حاجات الحياة فى العصر الحاضر . فاللغة اليوم ملك مشاع للجميع . يقرؤها الناس فى الصحف ، ويسمعونها فى الإذاعة ، ويخطبهم بها الخطباء ، ويتلونها فى الكتب . لم تبق وقفاً على القارئين والكاتبين ممن تثقفوا ثقافة لغوية عالية ، بل صارت أداة التفاهم فى هذا العصر الكثير الحاجات والمطالب ، والذى يسر للناس من كل الطبقات أن يقفوا على السر من كل شىء ، لا تختص فئة منهم دون الأخرى ، بما يزاول الناس من علم وفن وأدب وصناعة وتجارة . فكلما تيسرت اللغة للناس ، وكلما شعر الطالب فى دور العلم بأنها لا تقف عقبة فى سبيل المعرفة التى يبتغى النهل من وردها كانت الأداة الصالحة للغرض الذى وجدت اللغات من أجله . بذلك يحب الناس اللغة ويرون جمالها فى بساطتها ، وفى وضوحها